ولا يزال الى يومنا بعض المعلّمين في تلك الجامعة يعتزّون بتدريسها

فحقّ اذن لرؤساء الجامعة الرومانيّة الغريغوريّة ولسائر آلها ان يشكروا الله في هذه السنة على قطعها هذا الشوط من حياتها المستجدّة ويُسرّوا بما ادّته للكنيسة ولعالم العلم من الخدم الجلّى ويبعثوا همهم لمباشرة شوطٍ آخر في هذه الحلبة الجليلة ولنا الامل الوطيد انهُ سيكون اجلّ شأناً واوسع نفعاً . ولهم في براءة الحبر الاعظم التي وجّهها اليهم وعدّد فيها مآثرهم الفريدة احسن ضمين لتحقيق آمالهم لمجد الله الاعظم وخير الكنيسة الاوفر والاعمّ

ونحن الذين نشاهد عن بُعد ما تأتيه الجامعة المذكورة من الفوائد الجمّة لخدمة الدين والآداب نضمّ صوتنا الضعيف ونهنّئ اخوتنا الكرام لبارزغهم الى هذه السنة اليوبيليّة ونتمنّى لهم رقياً ونجاحاً متوالييْن طالبين من مراحم تعالى ان يحقّق امانينا بشفاعة منشئ هذه الجامعة وحارسها الامين لدى عرشهِ تعالى آمين

اوراق الخريف المتناثرة

بقلم فؤاد افرام البستاني متقدّم النادي العربيّ في كليّتنا

حشد الخريف جنودهُ الجويّة لمحاربة الارض فصفرّت رياحهُ ، وزمجرت زوابعهُ ، واحتكّت غيومهُ المتكاثفة فسطع البرق ، وقصف الرعد ، وضربت الارض بالاعاصير اذائلة فتلقّتها بجبالها الشامخة ، وصروحها المنيعة تردُّ الهجمات ، وتهزأ بالصدمات . ثم انقشع الضباب واذا بالمعركة تُسفر عن سقوط الضعفاء الواقفين في طريق المتقاتلين . . رجعت الجيوش سالمة ولم تترك في الميدان الّا مَنْ لم تدرُ الحربُ في خلده ولم يفكر عمرهُ في سجالها . تركت الجبال شامخة ، والصروح مرتفعة ، والحصون منيعة ، وألقت في حومة الوغى الاوراق الضعيفة . . . نسفت اوراق الاشجار بقوّتها الهائلة

فرمتها متناثرةً في مهابّ الرياح تدور مع تيّار الهواء ثم تتساقط رويدًا رويدًا فتغطي الارض بكساء اصفر ذابل

رأيتُ كل ذلك من وراء زجاج نافذتي فشاقني المنظر ودفعني تطايُر الاوراق الى معرفة مَصيرها فخرجت على وجهي لا افكّر في شيء حتى رأيتني في الرَّبوة والشمس ترسل اشعّتها المائية الضئيلة فتزيد الاوراق اصفرارًا. هناك وقفتُ مفكرًا وقد تمثّل لي مشهد الفناء فردّدت :

تَثَرَ الخريفُ على الثرى اوراقهُ فرأيتُ فيها رمزَ موت حياتي

تأملت طويلًا هذا المنظر والاوراق تتلاعب حولي ولا تدري ان لَعِبَها هذا هو لعب الموت، وانها مدفونة تحت الثرى منذ اليوم. فكّرتُ وفكرتُ مليًّا في هذا الانقلاب السريع ثم سألت نفسي حزينًا :

أوَ ليس في البشرية ايضًا اوراق متناثرة تَغُتها عن قريب ظُلمات الموت ؟..

أوَ ليس في المجتمع أناس يشبهون باضمحلالهم البطيء تناثر هذه الوُرَيقات؟..

***

قلت ذلك ثم سندتُ رأسي الى يدي وجلست على حجر غطّاه لباسُ الارض الجديد فتمثّلتْ لي اعضاء المجتمع التاعسة واوراقهُ المتناثرة :

رأيت ولدًا لا يتجاوز الربيع الثامن، ناعم البشرة، اشقر الشعر، ازرق العينين يجيلها حوله بخوف وكآبة وعلى ثغره ابتسامةُ المرارة والالم

مسكين فريد ماتت أمّه منذ ثلاث سنين وكان لا يألف النوم الّا على صدرها فضرب موتُها الضربة الاولى في فؤاده اللين. ثم تزوّج ابوه فضربه الضربة الثانية. ولم يفقهْ شيء بل شاهد امرأةً تُظهر لهُ الابتسام وتقبّلهُ بشوق وتلاطف، فكان ينفر منها ولا يفطن للسبب

مضت السنة على ذلك فرزق الاب ولدًا فرح بهِ الجميع الّا فريدًا لانه عرف حينذاك ان تلك الابتسامات كانت سطحيّة، عرف ان القبلات العديدة كانت تصنّعًا ومراءاةً، عرف السرّ في تلك البرودة التي كان يحسّ بها في شوق هذه المرأة، واخيرًا عرف انها ليست امّه.. ولاوّل مرّة دخلت الغيرة فؤاده فدخل غرفتـه

منخفض الطرف حزيناً . وظهرت من ذلك الوقت على ثغره تلك الابتسامة المرّة

هذه نفس تاعسة اتاها الحزن صغيرةً وسيرافقها ذكرهُ كبيرةً . . .

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع . . .

***

انت ماري عالمنا ومحبة اللانهاية تجذب قلبها الحسّاس فترفعه الى ما فوق

ترعرعتْ فاكتنفتها العلويات ، وشغلت دماغها الافكار السامية ، فكانت بين رفيقاتها كيوسف بين اخوته

دخلت مدرسة الراهبات فاذا هي كالشمس في بُرجها ، والزهرة في كتمها . . . اذا تكلمت اصغى رفيقاتها لما تقول ، وان سكتت تهيَّبنَ سكوتها فجلسنَ امامها معجبات . حرّكت الابتهالات العديدة ما في قلبها من قوى العلاء المكنونة ، فاصبحت ولا غاية لها الّا الاندماج في سالك التضحية العجيب ، وحمل خشب الصليب ، وراء من مهّد للمساكين طرق التعزية والخلاص

عرف اهلها بالامر ففار فائرهم ، واضطربوا كما لو ان صاعقة هائلة سقطت على اُس بنيانهم . هاجوا وغضبوا وطابوا البنت مرارًا فردّت ماري رسُلهم خائبين . اخيرًا اتوا الدير في ليلة اثقل ظلامها الجفون فاختطفوا البنت بين لاعن ، وصاخب ، ومجدّف ، فالقوها في حجر امها ، التي لحبّها السطحي المزعوم ، كانت اشدّ المعارضين والمعارضات عنادًا . . .

قضي الامر ، وفُتش للمسكينة عن عريس ، فزُفّت اليه دون تمحيص في حفلة سُرَّ بها الجميع الّا اها . . . كانت تسمع التهاني العديدة وقلبها يقطر دماً ، وعينها تذرف دمعاً ، متجهةً نحو عريس لا بشري يحيطها بعناية لا تزول

مضى شهر العسل في عُرف الجميع ، وشهر الحنظل في عرف ماري ، فاذا بجيب العريس افرغُ من فؤاد امّ موسى ، واذا به يشدُّ الرحال الى ما وراء البحار ، حيث يرى الذهبَ مكوّماً فيغرف منه ويعود . . .

سنوات ستّ مضت عليها في انتظار خبر من العالم الجديد ولا خبر . وكانت قد رجعت الى بيت ابيها غريبة مستجيبة ، وقد كسر قلبها واثر الحزن في جسمها فكأنها بنت ستين . ولا تعزية لها سوى ما كانت تسمعه من الكلمات القاسية ، والهمسات

الخفية المؤثرة من اللواتي كنَّ يزُرْنها قصد تخفيف عذابها . . . كنَّ يجتمعن لتسليتها فيتوشوشن ، والله ادرى بوشوشة النساء ، بانهُ تزوَّج هناك ، وانهُ لا يُعرَف لهُ مقرّ . وانه . . . وماري تسمع صامتة . . .

الى ان ضاقت بها حِيَل الاصطبار ، ولم تعُد ترى في هذه الارض من ملجأ ، فشخصت ببصرها طويلا الى العلاء . . ثم قامت ، وتحت ستار الغروب ، انسأت وحيدة تقطع الشوارع بقلق وخوف . . ولم تشعر الا وهي منطرحة على مركع في كنيسة طالما ردَّدت جدرانها صدى صوتها الرنَّان . . .

حدَّقت طويلا بالمصلوب دون ان تقدر على تحريك شفتيها ، حتى جُذبت عواطفها الى ما فوق ونسيت كل ما حولها فلم تنتبه بعد وقت طويل ، الى اطفاء الشمع وقفل النوافذ . . . وبينا هي غرقى بابتهالاتها اذا بيد لطيفة وُضعت على كتفيها ، فافاقت مذعورة ، ولم تلتفت حتى عرفت معلمتها القديمة تنبهها الى الخروج . . . تأملتها وقد جمد الدمع ، وتقلَّص الجفن ، فشهقت شهقةَ التأسف الشديد ، وبصوت جمع نبرات الحدَّة ، واليأس ، والثورة ، صاحت :

آه ! لولا جَوْر الاقارب لعشتُ مثلكِ سعيدةً في ظلّ المذابح وحمى الدير . . .

ثم سكتت فجأة مُذعنة لحكم الله القدير واردفت بصوت خافت جافّ :

اللهمّ ! لتكن مشيئتك لا مشيئتي !

هذه مسكينة جنى عليها عناد اهلها وكم جنى عناد الاهل على الابناء ! . . .

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع . . .

***

شعره طويل منفوش ، عيناه غائرتان ، ورأسهُ منحنٍ على منضدة عتيقة فوقها بعض اوراق مبعثرة

جرى قلمهُ طويلاً على قِطَع الاوراق ، فكتب ، واصلح ، وسوَّد ، وبيَّض . . . ثم اخرجها عصماء تختال جمالاً في بردها القشيب

قصيدةٌ قلَّما اخرجت المطابع مثلها ، نسَّقها ونظمها في الظلام ، وكتبها على ضوء السراج تلبيةً لطلب احدى الجرائد ، وقد وعدتهُ بمكافأة جزيلة يحسن بها احوالهُ . سار بها عند الصباح الى المحرّر ، وقلبه مفعم بالآمال ، فدخل المكتب ووقف وراء

المنضدة ، وقدّمها بيد ترتجف فرَقاً ، وجبينهُ ، على رغم برد الشتاء ، ينضح عرقاً

قرأ المحرّر القصيدة بعدم اهتمام . وبعد تأمل طويل ، فتح شفتيه وقال : بكل أسف . . . — فوجَبَ قلب المسكين خوفاً — بكل اسف اقول اني لا اقدر على نشر هذه القصيدة فان روحها تخالف روح جريدتي ، وقد نسيتُ بالامس ان اشرح لك مبدأنا فالمعذرة . . .

وقبل ان يفوه الشاعر المسكين بكلمة اردف المحرّر مادًّا يده :

مع السلامة ! . ان شاء الله تكون الثانية احسن !

تناول المسكين قبعته التي لم يعُدْ يعرف لونها الاول وخرج والخيبة تُرجف قدمَيْه زار عدة جرائد والفشل يرافقه بحجة ان الجمهور لا يفهم القصيدة ، حتى كانت النتيجة ان مدير احداها تقبّل القصيدة مقابل نصف ليرة بشرط ان يتنازل المؤلف عن اسمه

عند ذاك تراجع الشاعر كاسف فقدَ شبلهُ ، وبرقت عيناه بنور غريب فخرج دون ان يسلّم . . . سار مسرعاً الى مرقده وكان قد امسى ولم يذق الطعام بعد . . . فقرأ القصيدة مرّات ومزّقها حنقاً ، وعمد الى قلمه فكسّره على المنضدة . . . ثم القى اللحاف على رأسه ونام غارقاً في بحار اليأس القاتل . . .

هذا مسكين لم ينصفه الناس فذهب ضحية الامل الباطل والجهل . . .

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع . . .

***

ـمالٌ جافّ يمزّق سكونَ الليل البهيم . . .

أحَاتٌ متواصلة تقطع نياط القلب بزنينها فتُوقف على الطريق من كان متأخرًا في الظلام

من النافذة الواطئة ، كان يدخل نور القمر بطيئاً فيتاوج فوق سرير ابيض تململَتْ فيهِ فتاةٌ بنت عشرين . تأمّلت البدر سائرًا فتذكرتْ يوم كان خطيبها يشبّهها بالبدر لطفاً وبهاء

كان عهدٌ ومضى . . . ولم تكد تحلم بالسعادة المثلية حتى رأت حلمها الجميل يتحوّل الى حقيقة هائلة . لم تكد تشاهد النور العالي حتى حالت بينها وبين ذلك

النور ظلمات القبر المدلهمة . لم تكد تفكر بحزن الامومة حتى فاجأها ملك الموت بقساوة أنستها ذلك الحزن

كانت هنريت ذات جمال طبيعي يوقف المستعجل في طريقه . كثر حولها الطلّاب وهي صغيرة فخشيت على قلبها من الضياع في مجاهل الهوى فاقترنت في محطة شاب ربط اهلها واهله بعرى الصداقة منذ القديم . شاب من رآه ورآها في المتنزّهات صاح معجباً :

« فلم تكُ تصلحُ الّا لهُ ولم يكُ يصلحُ الّا لها »

ولكن سرعان ما رأت نورها يتضاءل . . . أنّت ، وتفلت ، وهجرها النوم . . فكان ذلك بدء المرض المشؤوم ، واخذت تسيل كالشمعة الصفراء في مهبّ ريح سموم

أبت نفسها الكبيرة ان تغشّ خطيبها فتركته على الرغم منه ، ودموعها على الخدود ، ورأسها يلتويان حزناً . ثم رجعت تتململ في فراشها منتظرة سقوط آخر ورقة من اوراق الخريف لتدفن نفسها معها

هذه زهرة نضرة قصفها المرض في عهد الشباب . . .

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع . . .

***

وصل الشيخ يتوكّأ على عكّازه الى المتنزّه . فاحتال للجلوس واسند ظهره الى خزنوبة كبيرة ، وجعل يجيل الطرف في فتيان يلعبون بكُرة القدم ، وبرقت عيناه بنور غير مألوف . سمع ضحكهم وجَلَبة سرورهم ، فتقلّصت شفتاه ، وأنّ طويلاً ، ثم اخرج منديلاً مسح به لؤلؤتين من بقايا دموع اغاضها الحزن والاسى

كان للحزين وحيد يافع لا تشبع العين من النظر اليه ، ولا تملّ الاذن سماع حديثه . كان محبي أمل ابيه وموضع تعزيته في هذه الدنيا . خرج من المدرسة ظافراً وقصد الاصطياف وملء النفس آمال . فابى ملك الموت ان ينعم اباه به طويلاً ، فبيت به سيّارة جموحة في ليلة افل قمرها وغارت نجومها . . .

واصبح المسكين اذا شاهد النور ظنّ انه يرى ابنه ، واذا سمع تغريد العصافير توهّم محادثة ابنه ، واذا تراءت له سيرة من بعيد رجف فرقاً كانه يرى جنازة ابنه . حتى اخذت روحه بالرواح ، فجعل يقصد ملاعب الاولاد علّه ينعشها بتذكارات العاب ابنه . . .

هذا مسكين ضربه الحزن في آخر عمره فتغصّ عليه الحياة ...

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع ...

***

رفعتُ رأسي بعد هذه المشاهد واذا بالظلام قد ضرب سرادقه، فقمت الى مقرّي والنفس حزينة، والقلب كئيب

تناثرت اوراق الشجر! ... ولكنها ستتجدّد عمّا قريب، فتزدهر الغصون في الربيع، وتبدو الطبيعة بثوب جديد قشيب

اما اوراق المجتمع المتناثرة ؟؟؟ فمتى وكيف تُجدَّد ؟ وما يعيد السرور الى هذا المجتمع الحزين اليوم ؟ وهل لهذا الداء من دواء ؟ ...

وكأنّ النسيم العليل حمل بلسماً لجراحي الداخلية فهمستُ والابتسام على شفتي: نعم! نعم! ستُجدَّد، ويزدهر المجتمع، وتسري الدماء النشيطة في اعضائنا الذابلة. والمجع دواء لهذا الداء هو ...

الرجاء

رحلة رسولية الى بلاد الجليل

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعيّ (صلة لما سبق)

المغار

موقع المغار على اكمة الى الجنوب تلوح بيوتها عن بُعد بين اشجار الزيتون والصبّار. ومعظم سكّانها مسلمون يبلغ السنّيون منهم نحو مائتين ومن وجهائهم محمد العايده وفندي محمود. وفي المغار ثمانمائة درزي من وجهائهم يوسف حسين شيخ